

# رد على تعليق الدكتور يوسف ادريس

## الأديب والكروية أيضا

بقلم فؤاد السائب

معي مؤتمر الأدباء العرب برمته ، ومعه كل ما وضع للمؤتمر من بحوث في الفن والأدب ، لأن الاخ يوسف يريد ان يتساق بسرعة من ( سيقان ) الوحدة الى ثمارها .. هكذا ، ودون تمكيز ، ولا عرض آراء شخصية ، ولا ( ما يراه فلان او مالا يراه ) وكأني به لا يتبني هذه الثمار إلا ثماراً فجأة تضرس بها الأسنان ، وحسبه انه بلغها .

وهو يعتقد او يريد ان يقنع اعضاء المؤتمر ، انه لم يعقد في هذا الوقت بالذات — كما قال — عبثاً . ونسي في فورة الخماس ان المؤتمر دعا اليه ادباء سورية منذ عامين — ولم يقصدوا عقده في ( هذا الوقت بالذات ) لسبب رئيسي هو انه كان مقرراً سابقاً . وان هؤلاء الأدباء من سورية — وهم بعد عرب — بل من اكثر العرب شعوراً بضرورات الوحدة القومية ، وفروض السلامة الوطنية ، قد اعلنوا مع زملائهم من شتى ديار العروبة في المؤتمر الاول للادباء المنعقد في بيت مري — لبنان منذ عام ١٩٥٤ — توصيات قومية محكمة التفصيل والاجمال ، جماعها ( ان لا حرية لأديب في وطن غير حر ) وان هؤلاء الأدباء في سورية ، يعرفون كيف يعطون ما لعكاظ ، لعكاظ ، وما لقيصر لقيصر ، دون أن يربطوا الفكر الى عجلة الحماسة المهوشة ، ودون ان يكونوا بحاجة على كل حال ، الى دروس منبرية ، وهي دروس — ليسمح لنا الدكتور ادريس ان نقول — فيها تعال ، وفيها تلقين وفيها نرسيه ساذجة .

هؤلاء الأدباء ، وهم غير غافلين عن خطر الاستعمار ، انما جاءوا ليدرسوا ويناقشوا ، قضايا فكرية وفنية ، وضع الأدباء السوريون منهاجها — تقوم فائدتها على صعيد البحث فيها ، وعلى حصاد الجدل حولها وعلى ما يتجمع على هامشها

في جلسة المناقشة المقررة لمحاضرتي في مؤتمر ادباء العرب رددت على المناقش الرئيسي الدكتور يوسف ادريس عضو الوفد المصري ، وعلى بعض المناقشين خلال نحو من نصف ساعة ، ثم اراد رئيس الجلسة ، العلامة الاستاذ بهجة الأثري ان يحسم الأخذ والرد بين المناقشين وبينني ، متمسكاً بدستورية النظام الذي ينهي زمن المناقشة في الساعة السابعة مساء ، وكان لابد من احترام النظام ، فانحسم الجدل ، واحتفظت لنفسني بكرة ثانية على الدكتور ادريس ، اعلتها له فور انقضاء الجلسة . ثم عندما ذكرني الصديق الدكتور سهيل ادريس صاحب ( الآداب ) بالكرة الثانية بعد صدور العدد الممتاز وكنت قد تراءت فيه بتمهل تعليق المناقش على المحاضر ، ازددت يقيناً بأنه لا ندحة لي من هذا اللقاء على صفحات الآداب ، وقد خرج الموضوع من طوق المؤتمر ، الى جميع القراء العرب .

كان الدكتور ادريس — لو رأيتموه — بادي الانفعال ، عندما اعتلى المنبر ، ولخص امانيه منذ الاستهلال أنه يرى في هذا المؤتمر جنور الوحدة العربية وسيقانها .. ويطمع على الثور في ازهارها وثمارها . وأنا — كلنا — لم نجتمع لنبحث في التاريخ ، ولا في حقائق الانسان ، بل عقدناه لحاجة ، هي ان نتكتم لنواجه الاستعمار .. وان تناقش ما يفيد .. وان نتفق ! « وان هذا المؤتمر ليس بسوق عكاظ — كذا — ولا بميدان لاطهار العضلات .. ولا بمدينة بيرنطية ! حاجتنا الدفاع عن النفس .. حاجتنا ان الانكابر يتهبأون للانقضاض على مصر وسورية .. الخ »

ولعله من الواضح للقارئ من انطلاق هذه الغضبة المنبرية انني لم اعزل وحدي من ميدان يوسف ادريس . بل عزل

من جميع موضحة ، وافكار معبرة ، وان عدم الاتفاق فيها لا ينقص من قيمة مواضيعها ، وضرورة معالجتها وتبسيطها ، رغبة في توسيع آفاق الثقافة العامة ، وعلى الأخص في شؤون السياسة والحكم والاجتماع وحقائق الإنسان التي عاجلها الفلاسفة والحكماء والعلماء ، واسترشد بها الساسة واتقادة والمصلحون . وعلى هذا الأساس ، فان أعضاء المؤتمر ليسوا مجلس وزراء منعقد في حالة طوارئء، - كما تلت للمناقش في جلسة المناقشة - وما جاءوا ليصدروا قراراً إجماعياً ، من نوع قرارات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، وان يكن من المؤكد ان توصياتهم الفكرية في المجال القومي ، خليقة بأن تأخذ بالضرورات القائمة ، وتصدر عنها - كما جرى فعلاً في بلودان ، وكما جرى في بيت مري من قبل .

من روح هذه الغضبة المنبرية ، طفت المناقش يصب اسئلته الناقدة - ولا اتول الحاقدة - على المحاضرة : حتى ليتمكن ان اعتبر الخوضمة غير فكرية ، وخارجة عن الموضوع وغير حثيقة بالرد ، لأنها واضحة القائق والاضطراب . على انني اذ اتناول بعضها بالمناقشة ، فلكي استمر في ابراز شطط المناقش في فهمه القضية القومية ، وكأنها منفصلة عن روح البحث ، وحب المعرفة ، وقيمة الثقافة في استقراء التاريخ ، وحقائق تطور الإنسان . مثال ذلك انكار المناقش ان يكون كتاب العرب في مؤتمر بلودان ، كتاب الانسانية جمعاء مؤكداً اننا كتاب عرب فحسب .. ومؤتمراً محدود بزمانه ومكانه : ولعلي بحاجة الى تذكير الدكتور ادريس ومن يشرب من نكرته هذه ، اننا في طموحنا الى تحقيق اهدافنا القومية الكبرى ، انما نصدر عن نزوع قومي وانساني معاً ، لأن الصراع العربي ، جزء لا يتجزأ من حركة كونوية انسانية ، كانت في الماضي البعيد والتقريب وتستمر اليوم وغداً في سبيل تحرير الإنسان من ظلم الوحش ، وقلب اوضاع دولية ذرضها الأقوياء بالسيف ، وانها لمن الصلابة ، حتى أنها لا تؤخذ الا بمقاومة انسانية عامة ، يمثل العرب اليوم انصع وجوهها ، واعنفها بشيراً ونذيراً . وانها لتأخذ بالتوسع في الآفاق العالمية حتى لتغدو الخطر الأكبر الذي يهدد الاستعمار في قارتي آسيا وافريقيا .

ان جهادنا جهاد انساني كبير ، يفرض علينا نحن الأدباء

ان ننهض له بالمعرفة الشاملة الى المستوى الانساني ، الذي يجمعنا الى التيارات الثقافية العالمية ، والى احرار الفكر في العالم ايها وجدوا ، وفي ظل اي دولة أقاموا ، لأن اللقاء في تلك الأجواء الانسانية الحرة ، على ضوء منائر التاريخ والعلم ، والتعارف بالمعرفة ، هو بالتالي سبيل الى ملتقى ملايين البشر في حلبة مقاومة واحدة ، ضد جهة الاستعمار والاستثمار ، التي هي جهة واحدة ايضاً .

اما انني نسيت ان هناك دولاً باغية مستعمرة .. ودولاً اخرى صاحبة حق .. !! لم انظر الى دولها وادبائها .. كما يزعم الدكتور ادريس - فحسبي ان احيله الى الجزء الأخير من محاضرتي ، عندما اعطيت الدليل بالمشاهدة ان الانسان بالحرية يرتفع فوق باطل قومه ، مهما كان هذا الباطل خادع الملامح - كذلك ارتفع ( ويلز ) الانكليزي يطالب برأس الأمبراطورية البريطانية - امبراطورية بلاده - في سبيل السلام ، وكذلك جابه ( جود ) الانكليزي قومه - الانكليز - بأن ثمانين بالمائة من ثروة الأمبراطورية تذهب الى ستة بالمائة من اهل بريطانيا .. فقيم الاستعمار اذن .. اذا كان ظملاً للشعوب ، ومقرراً وهواناً لكل الجزيرة البريطانية ؟! وهل في هذه اللوحة الصغيرة عن بريطانيا بين ادبيين من كبار ادبائها ما هو اشمل للفكرة التي يتهمني المناقش باهمالها ؟ . والا فما ادري بالحق من اية نافذة ضيقة يريدني المناقش ان اطل على موضوعي . ؟

ذلاً يؤكد له مرة ثانية ، ان ادباء العرب في هذه القرية السورية الصغيرة حيث اجتمعوا ، هم ادباء الانسانية جمعاء بحكم النضال القومي ، الذي يشرفهم ان يعلنوه نضالاً انسانياً . وبحكم الثقافة التي تمتع من ينابيع الانسانية فلبسته وعلماً وتاريخاً . وبحكم المواضيع التي اثاروها للبحث في مؤتمهم الثاني ، كالأدب والنقد ، والأدب والفن والأدب والدولة ، والأدب والمستوى العالمي .

انهم ادباء الانسانية جمعاء هؤلاء الذين اجتمعوا في قرية سورية نائية ، اذا ارادوا ، واذا استطاعوا ان يرتفعوا بالحق وبالحرية الى المستويات العليا . وليس الا بارادتهم الواعية .

وثقافتهم الجامعة يبلغونها . وليس الا بها يخرج الفكر العربي بالقضية العربية الى المواقع التي لا تستطيع قوة ان تهزمها ، لأنها غدت تسير في موكب انساني لا تجرؤ عليه الذئاب ، وليس بعد الآن ، قافلة ضالة في صحراء مجهولة تنبجها الكلاب ، وتهيم في ظمئها وراء سراب .

بل انني اتهم المناقش بتهمة اقلها انه لم يقرأ المحاضرة — لأنها طويلة — كما قال الاستاذ يوسف السباعي . ولم يكلف نفسه بعض العناء في رد بعض اجزائها على بعض . فقد وقف عند بعض آراء لم ترق له في مذهبه ، وهو حر ، فتحامل على الكل بالجزء ، وقذف الكثير بالقليل ، واخذ يعصف باحكام سريعة ، ذات انشاء متراليوزي ، كأنها قرارات محكمة عسكرية ، او كأنها ضربات مبضع من طبيب ما تعود صبره المعالجة الحكيمة . فهو يأخذ علي انني تمتلث بثلاثة او اربعة من النلاسة ، اصطفتيم ، وجعلت منهم انبياء . الواقع انني استعرضت مذاهب وفلسفات عدة ممن ذكرت اسماءهم ، اودكرتهم بمذاهبهم ، في ميادين المدارس الفلسفية والعامية ، كما هو واضح في المحاضرة ، على ان اصطفتائي ببعض الاسماء للتمثيل ، عبر مراحل التاريخ الحافل من القرن السابع عشر حتى اوائل القرن العشرين ، — قد يكون اصحح للدراسة منه لمحاضرة كما قال لي بعض الاصدقاء— ولكنه لا يخرج كما ارى عن كونه عرضاً لتطور فكرة الدولة والفرد ، كيف تحز الفكر الى جانب الدولة ، مع تطور الحاجات وتراكمها ، ضد الفرد الذي يحاول محاولاته للافلات منها — الدولة اينما كانت والفرد اينما كان — . وقد كان العرض واضحاً في ان الدولة لا بد لها وهي تنظم الحرية الفردية لأجل الخير العام من ان تتدخل عندما يعجز الفرد او عندما تصبح حرية المئات عبودية للملايين . وكنت واضحاً في قبول ضرورة التدخل لتنظيم القيم الاجتماعية ، كالأرض ، والثروة ، والعمل .. الخ ..

كذلك لم انترض وجود دولة خيالية وفرد خيالي ، كما زعم المناقش ، بل مرتت بشتى النظريات الفلسفية ، والمذاهب السياسية كما عرفت في اوروبة واميركة ، ومع المبادئ الاشتراكية الثورية ، والاشتراكية التطورية ، وفي هذا دليل آخر على ان المناقش لم يستوعب محاضرة المحاضر . كذلك لم اتوسع في حديث ( الفرد ) الا لأن الأديب او المنكر

او الفيلسوف او صاحب الفن هو فرد في المقام الأول ، لا يجوز لنا ان نتعرف الى واقعه الا من حيث تنظر الدولة الى افرادها . فاما هي ضيقت عليهم ، كان مجال الفرد المنكر اضيق ، وان هي اطلقت بمقدار ، كان مجال الفرد المفكر مطلقاً على هذا الغرار . فالتقديم لدراسة موتف الأديب ، على ضوء نظام الحكم في الدولة ، ضرورة ملزمة لكل باحث ودارس .

على انني اخرجت قيم الجمال والحق من حيز القيم الاجتماعية الى حيز القيم غير الاجتماعية ، حتى لا اترك للدولة حق التدخل والالزام ، لأنني ان وجدت لها مبرراتها في تقييد يد الفرد ، فلن اجد لها مبررات تعزير جبينه ، والتحكم في قيمه السامية فهو ان وضع الكبل في يديه ، لضرورة اجتماعية ما ، فإنه يابي ان يضع رأسه بين قدميه . وما مجد تاريخ الانسان كله الا في هذا الصراع الأبدي . ومن هذه الزاوية عاجلت موضوع الالهام والالزام ، عبر صفحات زعم المناقش انها عشر المحاضرة ، وهي ثلثها على الأصح . وهنا لا بد لي من كرتة ثلاثة على الدكتور ادريس ، لاوضح الهدف الذي رهيت اليه من تنظيم القيم الاجتماعية ، واطلاق القيم غير الاجتماعية ، وعمل صاحب الفكر والفن والعلم بين الالهام والالزام ، وارجو ان لا يضيق بالكرتة الثالثة صدر هذه المجلة ، او صدر الدكتور ادريس ، الى اللقاء .

فؤاد الشايب

دمشق

للوازمكم وكتبكم المدرسية  
اتصلوا

## مكتبه المعارف

شارع المعرض — بناية الفندور — طابق اول

ص . ب ١٧٦١ هاتف ٢٨٨٠١

بيروت

تشكيلة حديثة وجديدة من الكتب والأدوات

المدرسية تهتم المعلم كما تهتم التلميذ

البيع بالجملة والمفرق